الأول : ما نزل به الوحى – من كت وصحائف .

والثانى : ميزان المنطق حتى إذا قدر للناس الهداية قام مجتمعهم على أساس من الرضى والإقتناع .

بعد الإشارة على المنهج الذى اتبعه الرسل فى ارساء قواعد أصول الرسالات الإلهية والعمل على نشرها بين أقوامهم .

نتحدث بإيجاز عن كل أصل من تلك الأصول :

الأصل الأول : توحيد الله عز وجل : -

كان الناس قبيل إرسال الرسل – عليهم الصلاة والسلام – يعيشون على الشرك فى العقيدة علما بانهم على يقين بأن هناك فوق آلهتهم التى يعبدونها إلها أعظم من الجميع وهو الاقدر والأحكم ولذلك كانوا يعبدون الأصنام والمظاهر المحسة بجوارحهم من أجل التقرب إلى الله

وفى الوقت نفسه تكون وسيلة الشفاعة لديه والاتصال به ولذلك اشار القران الكريم بذلك فقال :(أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (١)

وتلك كلها عقيدة خاطئة جاءت الرسل لتصحيحها واثبات الحق فيها حيث إن التوحيد فى حقيقته كان موجودا قبل الرسالات السماوية إلا انه كان فيه خلط كبير يجعله فاقد القدرة لأنهم فى الوقت الذى يوحدون الله فيه ويذكرون قدرته وخلقه للموجودات يعبدون الشركاء

=يخصص لنا المراد من هذه المادة المراد تبليغها والوسيلة التى تبلغ بها على حسب متطلبات العصر .

(١) سورة الزمر : بعض آية : ٣ .

معه ويثبتون لهم بعض القدرة ويعطونهم جزءًكبيرًا من التعظيم والتقديس (١)

ومن ثم جاء الرسل على مدى الزمن ليبينوا للناس ما يجب ان يكونوا عليه فى عقيدتهم .

منهج الرسل فى التدليل على توحيد الله وعبادته عز وجل :

وقد سلك الرسل – عليهم الصلاة والسلام – فى التدليل على مفهوم توحيد الله وعبادته ثلاث وسائل (٢)

---

(١) اصول الدعوة : أ . د / أحمد غلوش – ص ٦٣ وما بعدها .

(٢) تعريف الوسيلة :

(أ) تعريفها فى اللغة :

إذا نظرنا فى معاجم اللغة العربية نجد أن الوسيلة مشتقة من كلمة و-س-ل يفتح الواو والسين – ومعناها فى معاجم اللغة يدور حول المعانى الآتية :

١ – القربة : اى السلوك الذى يتوصل به الانسان الى خالقه .

٢ – ما يتقرب به إلى الغير أو ما يتوصل به إلى الشئ

٣ – السرقة .

يقول صاحب اللسان العرب : الوسيلة – القربة ... والوسيلة ما يتقرب به إلى الغير او ما يتوصل به إلى الشئ (انظر : إلى لسان العرب المجلد السادس – ص ٤٨٣٧ مادة (وسل) يقول : صاحب مقاييس اللغة – الواو والسين واللام كلمتان متباينان جدا

١ – الرغبة والطلب يقال وسل إذا رغب والواسل الراغب الى الله عز وجل ومن ذلك الوسيلة

٢ – الاخرى السرقة : أخذ ابله توسلا – سرقه (معجم مقاييس اللغة : ج٦ – ص١١٠)

يقول ايضا صاحب القاموس المحيط : والوسيلة المنزلة عند الملك وتوسل إلى الله توسيلا عمل عملا يتقرب به إليه والمتوسل والوسل الراغب الى الله وعلى ذلك تكون الوسيلة (السرقة) (القاموس المحيط : ج٤ – ص ٦٤ وبناء على ما تقدم تكون الوسيلة اما بمعنى :

الوسيلة الأولى : تذكير القوم بنعم الله عليهم فى أنفسهم .

الوسيلة الثانية : تذكير القوم بالنعم المبثوثة فى الكون من حولهم .

---

١ – القربة : العمل نفسه الذى يتخذ وسيلة للتقرب به إلى الله

٢ – ما يتقرب به إلى الغير أو ما يتوصل به إلى الشئ أى الطريقة التى ينشر بها المنهج

٣ – السرقة أو الاختلاس

ويبدو أن المعنى الثالث يستبعد لأنه لا يتفق مع ما نحن فيه او ان الداعية استطاع ان يخلب ويسيطر ويختلس ويسرق – لب وفؤاد المجتمع كوسيلة ما – ليستطيع ايصال منهجه .

(ب) تعريفها عند أهل فن الدعوة :

إذا نظرنا إلى تعريفها فى الاصطلاح لوجدنا لها تعريفات كثيرة نختار منها

١ – يعرفها البعض فيقول إنها (عملية الاتصال الفردى والجماعى التى تتم بين الداعية ومجتمعه من أجل تبليغ الاسلام ونشره)

(الدعو الاسلامية ووسائلها فى عصر النبى (ﷺ) – ص ١٠٤ : د / احمد احمد غلوش ط/١ / ١٩٧١ م) أو هى (أى شئ يساعد على الاتصال الذى ينقل المعنى من شخص الى غيره) (المصدر السابق : ص ١٧٩ ط/ ١٩٧٢ م)

٢ – ويقول آخر فى تعريفها :

(الوسيلة هى الطريقة التى توصل بها الأسلوب إلى المدعو) (الدعوة إلى الله تعالى خصائصها – مقوماتها – مناهجها ت د / ابو المجد السيد توفل : ص ١٨٩ ط/١ ١٣٧٩ هـ – ١٩٧٣ م مطبعة الحضارة العربية الفجالة)

وإذا نظرنا إلى هذه التعاريف نجد : ان التعريف الأول : حدد مفهوم الوسيلة كاصطلاح فى نشر الدعوة الإسلامية وهذا ما نميل إليه .

أما التعريف الثانى فعرف الوسيلة : بمعناها اللغوى العام : وهناك فرق بين التعريف اللغوى والاصطلاحى

ومن التعريف الأول نجد – فيما يبدو – أن الوسيلة والأسلوب بمعنى واحد

أما التعريف الثانى : فهو يرى بأن الوسيلة غير الأسلوب ومن هنا نراه يعرف الأسلوب فيقول : عرض ما يراد عرضه من معانى وأفكار ومبادئ وأحكام فى عبارات وصيغ ذات شروط معينه (المرجع السابق : ص ١٨٩)

الوسيلة الثالثة : التخويف من العواقب التى ستلقى على من لم يوحد الله تعالى ويعبده (١)

وعلى سبيل المثال فإننا نجد أن سيدنا نوح – عليه السلام – يخاطب قومه بتلك الوسائل ، ويطلب منهم أن يعبدوا الله بسببها ، فنراه يبين لهم أحيانا نعم الله عليهم فى أنفسهم فهو خلقهم على أطوار سبعة بدأت بالتراب وانتهت بإنسان عاقل سوى يسمع ويبصر : (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (٢) فقال لهم نوح مبينا لهم قدرة الله فى أنفسهم فقال لهم : (مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) (٣) وتارة يوجه انظار قومه إلى السموات العلا وما خلق فيها من كواكب سيارة لا يسبق أحدها الآخر وكل فى فلك يسبحون وجه نظرهم إلى هذا علهم من ملاحظة هذه القدرات الإلهية يعبدون ربهم ويوحدونه فقال لهم (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا) (٤) ووجه نظرهم كذلك الى الأرض التى نشأوا من ترابها واستخدموها فى معاشهم والتى سيرجعون اليها بعد موتها وسيخرجون منها حين البعث والنشور يوم القيامة .

هذه الأرض ذللها الله وسخرها للإنسان يستغلها كيف شاء حسب قواه وجه نوح عليه السلام نظر قومه إلى ذلك فقال لهم : (وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا) (٥) وهذه أدلة تشير إلى

---

(١) أصول الدعوة : ص ٢٨ .
(٢) سورة المؤمنون : آية رقم : ١٤ .
(٣) سورة نوح : آية رقم : ١٤ .
(٤) سورة نوح : آية رقم : ١٥ ، ١٦ .
(٥) سورة نوح : الآيات ١٧ – ٢٠ .

العناية والدقة وتدور حول النظر فى النفس وفى الكون وفى نعم الله ، وتؤكد وجوب عبادة الله وحبه والخوف منه وطاعته فى كل ما أمر به ومع تذكيرهم بنعم الله فى أنفسهم ومن حولهم كان سيدنا نوح يذكر قومه باللوت والبعث والحساب وتخوفهم من عذاب الله يوم القيامة الذى سوف ينزل بهم ان لم يوحدوا ربهم ، ويخصوه بالعبادة ، فقال لهم : (يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لاَ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) (١) وقال لهم : (أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ) (٢) وقال لهم : (أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) (٣)

وهذه الأدلة سالفة الذكر . تشير إلى العناية والدقة وتدور حول النظر فى الأنفس وفى الكون وفى نعم الله المبثوثة والتخويف من عذاب الله وتؤكد على وجوب الله وحده والخوف منه وطاعته فى كل ما امر به وما نهى عنه .

معارضة قوم نوح له :

رغم وضوح هذه الادلة ، وصدق دعوة نوح عليه السلام ، إلا أن قوم نوح عارضوه وقالوا له ، ما حكاه الله عنهم :

(مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) (٤)

---

(١) سورة نوح : آيات ٢-٤ .

(٢) سورة هود : آية رقم : ٢٦ .

(٣) سورة الشعراء : آيات ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ .

(٤) سورة هود : آية رقم : ٢٧

وقالوا لقوامهم (لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) (١)

إنهم كانوا يريدون رسولا من الملائكة ويريدون طرد الضعفاء من حول نوح ، ويريدون الإستمرار على جرمهم واستكبارهم فقال لهم نوح عليه السلام (وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُلاَقُو رَبِّهِمْ) (٢) واخيرا قال قوم نوح عليه السلام (يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) (٣)

وبعد ما بذل نوح كل ما فى وسعه من ترغيب وترهيب طيلة هذه المدة الطويلة بلا فائدة ، الجه الى ربه وقص له ما حدث من قومه ، وساله أن يعاقبهم فامره الله تعالى بصنع سفينة تحمله وتحمل القلة المؤمنة معه ، فلما اتم صنعها ركب المؤمنون فيها واخذوا معهم من كل زوجين اثنين . وبعد ذلك نزل المطر مدرارا وتفجرت الارض عيونا . وكانت النتيجة هلاك الكافرين وفيهم إمرأة نوح وابنه ونجى الله المؤمنين جزاء طاعتهم (٤) .

والقران الكريم صور لنا هذا فى قوله تعالى : (وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ * وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ * وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ

(١) سورة نوح : آية رقم : ٢٣ .
(٢) سورة هود : بعض آية ٢٩
(٣) سورة هود : آية رقم : ٣٢ .
(٤) الدعوة الإسلامية اصولها وغليها : د / احمد غلوش – ص ١٣١ .

إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ * حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ) (١)

وادلة الرسل عموما كانت ادلة بسيطة تعتمد على المحسوسات ولا تحتاج إلى دليل جدلى أو فلسفى لأن ذلك هو المناسب لفكر القوم وقتئذ .

ثانيا : ضرورة الرسالة وإثباتها :

بعد الإشارة الموجزة عن توحيد الله عز وجل وبعد معرفة أنه أصل من اصول الرسالات السماوية نادى به جميع الرسل عليهم السلام قبل محمد خاتم الأنبياء والقرآن الكريم أشار بذلك فقال تعالى : مخاطبا رسوله . ومذكرا إياه أن التوحيد والعبادة لله وحده نادى به جميع الرسل السابقين فقال : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) (٢) وقال تعالى : (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (٣) وعرفنا كذلك أن دعوات الرسل السابقين اصطدمت حين ظهورها بالمعارضين والمكابرين المعاندين الذين حاولوا مجابهة هدمها ورد كل ما يأتى به الرسل ، وكانت وسيلتهم فى ذلك هى انكار رسالة الرسل ، ومن هذا رأينا سابقا أن الرسل كانوا يدعوا قومهم الى توحيد الله وعبادته بينما المعاندين يوجهون انكارهم بحجة ان الرسول انسان مثلهم يأكل ويشرب فكيف يكون نبيا من كان بشرا مثلهم فالنبى فى نظرهم يجب أن يكون ملكا لا بشرا ، وكذلك بحجة أن الذى اتبعوا الرسل

---

(١) سورة هود : آيات ٣٦ – ٤٠ .

(٢) سورة الأنبياء : اية رقم : ٢٥ .

(٣) سورة الأنبياء : اية رقم : ٩٢ .

هم المستضعفون اصحاب المهن الوضيعة وهم ليسوا من ذوى الفضل(١)

ومن ثم كانت إجابات الرسل على هؤلاء المعاندين تلائم تفكيرهم وثقافتهم حينذاك بأدلة سهلة ومقنعة كما وضحنا من قل ومن ثم نجدهم قد اعتمدوا ردهم على دليلين :

الأول : بيان وتوضيح مشابهة رسالتهم للرسالات السابقة .

والثانى : تذكيرهم أن الرسالة اصطفاء من الله ومنحة يختص بها من يشاء من عباده (٢) حيث إن النبوة إصطفاء وليست تنال عن طريق الاكتساب . والقرآن وضح ذلك يقول الله تعالى : (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (٣) يقول الإمام ابن كثير القرشى : (يخبر تعالى انه يختار من الملائكة رسلا فيما يشاء من شرعه وقدره ومن الناس لإبلاغ رسالته) (٤)

وقد أوضحت الدعوات فى القرآن هذا الإنكار والرد عليه فعن الإنكار نجد أن قوم نوح (حينما ارسل اليهم قالوا ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين) (٥)

---

(١) مع الأنبياء فى القرآن الكريم : ص ٦٢ بتصرف يسير تأليف عفيفى عبد الفتاح طبارة – ط١١ كانون الثانى ١٩٨٢ – دار العلم للملايين

(٢) اصول الدعوة : ص ٦ بتصريف وانظر كذلك الى الدعوة الإسلامية ووسائلها فى عصر النبى (ﷺ) .

(٣) سورة الحج : آية رقم : ٧٥ .

(٤) تفسير ابن كثير : ص ٢٣٥ .

(٥) سورة المؤمنون : بعض آية : ٢٤ .

الدليل الثاني : ذكرهم أن الرسالة اختيار من الله يختص به من يشاء من عباده نجد أن الرسل اثبتوا رسالتهم لاقوامهم فبينوا أن النبوة نعمة من الله ورحمة يصطفى لها من يشاء من عباده تبعا لمميزات وخصائص وضعها الله فيمن يختاره ثم يكمله بالوحى وبناء على ذلك يستطيع ان يقوم بالواجبات المنوطة اليه نحو الرسالة على الوجة الاكمل ومن هذا المنطلق نجد أن سيدنا نوح – عليه السلام – يخاطب قومه بقوله: (قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى واتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها) انكرهكم على الإهتداء بها وأنتم كارهون –

كما نجد أيضا سيدنا صالح ، قال لقومه : (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ) (١) وأيضا ما قاله شعيب لقومه : (قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه انيب) (٢) وهكذا نجد أن الرسل اثبتوا رسالتهم بطريقة واقعية ملموسة لانهم اعادوا القوم إلى التاريخ المنظور والمعروف ليتدبروا ما فيه ويأخذوا من ذلك العبر ليصدقوا بالرسالة بعد ذلك فإن كذبوا فقد كذبوا بكل الرسالات وإن صدقوا بها فهو تصديق وإيمان بجميعها . فالرسالة هى الرسالة والإنسانية هى الإنسانية حيث إن القوم قابلوا الرسول الخاتم بمثل هذا الإنكار فرد عليهم بمثل ردود السابقين . وكان الأولى أن يعتبروا من تلقاء أنفسهم (٣) ويصدقوا بما سمعوا لكن هكذا ضلوا وساروا وراء الأهواء والشهوات .

---

(١) سورة هود : آية رقم : ٢٨ .

(٢) سورة هود : آية رقم : ٦٣ .

(٣) الدعوة الإسلامية ووسائلها فى عصر النبى (ﷺ) : ص ٦٧ بتصرف : د / احمد احمد غلوش .

ثالثاً : إثبات البعث (١) :

إن عقيدة البعث لبّ الإيمان وأساس العقيدة وهدف من أهداف الديانات والشرائع السماوية ولذلك نجد القرآن الكريم يعنى بشأن البعث والدار الآخرة عناية شديدة ويحتفى ببيان حقيقة وتنبيه العقول إليه . فقلما نجد سورة من سوره إلا وتذكر البعث وتقرر أمره على نحو (ما) وكثيرا ما نجد فيه سورا تقوم بأسرها على هذا الشأن(٢) فتفيض فيه مابين تذكير وبيان وضرب للامثال ونفى للشبه وإقامة للأدلة على صدقه وبيان حكمته وأهميته والدعوة إلى الإيمان به (٣)

ومن ثم كان صوت الرسالات دائما يهتم بالبعث ويثبته ، وكذلك نرى أن الرسل جميعهم اهتموا بهذه القضية اهتماما عظيما منذ سيدنا نوح عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد (ﷺ) .

فهذا سيدنا نوح عليه السلام منذ اللحظة الأولى فى دعوته نراه يبين لقومه أنه يخاف عليهم من يوم القيامة حيث يبعث الناس ويعذب العصاة الكافرون فقال لهم " إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ " (٤) وقال لهم " إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ " (٥)

---

(١) البعث : عبارة عن إحياء الموتى واخراجهم من قبورهم بعد جمع الاجزاء الأصلية، وهى التى من شانها البقاء من اول العمر إلى آخره ولو قطعت قبل موته بخلاف التى من شانها ذلك كالظفر (شرح البيجورى على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد : تاليف شيخ الإسلام ابراهيم البيجورى – ص ١٩٨ – ط ١٤١٤ هـ – ١٩٩٥ – ١٩٩٤م – وراجع ايضا منهج القرآن والسنة فى الدعوة إلى الله تعالى : محمود يوسف كربت : ص ١٤٨ ط/١ – ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

(٢) مثل سورة الحاقة – الواقعة – القيامة .

(٣) سورة القصص ومنهجها فى إثبات الرسالة : امين محمد عطية باشا – ص ٣٧٢ بتصرف ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م

(٤) سورة الأعراف : آية رقم : ٥٩ .

(٥) سورة هود : بعض آية : ٢٦ .

بهذا نرى أن نوحاًعليه السلام خوف قومه من عذاب عظيم مؤلم نازل على الطغاة والظالمين الذين لا يوحدون الله ولا يعبدونه ولسوف يرونه يوم الطوفان أو فى يوم القيامه كما أشار الى ذلك المفسرون إلا أن الإمام ابا السعود يرجح أن المقصود بهذا العذاب هو عذاب القيامة . ذلك أن عذاب الطوفان كان مؤلما عظيما إلا أن عذاب القيامة أشد وأعظم بسبب دوامه وتنوعه والصيغة تناسب هذه المبالغة فى الشدة وأعظم حيث أسندت الاليم والعظيم إلى اليوم . كما فى نهاره صائما وفى ليله قائم وأيضا فإن الغرق ليس نهاية عذابهم وأقصاه فقد ذكر الله تعالى أنهم بعد إغراقهم فى يوم الطوفان يحرقون فقال تعالى : (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا)(١) مما يجعلنا نتساءل عن هذه النار أهى نار فى الدنيا أم نار فى يوم القيامة ؟ وقصة أهلاكهم المفصلة فى السور القرانية خلت من الإشارة إلى هذا الإحراق مما يدفعنا إلى الإيمان بانها نار فى الآخرة ونتابع فى ذلك احدى روايات ابى السعود عن هذه النار فقد ذكر انها نار جهنم تنزل لا محالة وتحققها ضرورى ولعل عطف أدخلهم النار على الإغراق بالفاء لبيان هذه الضرورة المحققة وكانها تعقب الإغراق (٢) وكون المراد هو عذاب القيامة لا يمنع حدوث العذاب فى يوم الطوفان واندراجة فى العذاب الذى انذرهم به سيدنا نوح وخاف عليهم من وقوعه وقد جاء فى الجلالين أن العذاب المراد هو عذاب الدنيا والآخرة معا (٣) ولعل الهدف من بيان وتوضيح حقيقة البعث واثباته على لسان الرسل هو :

اولا : تخويفهم من الإهمال نحو التكاليف المنوطة بهم .

وثانيا : هو تحذيرهم من العصيان . ولذلك نرى ان الرسل قدموا التخويف والتحذير فى دعوتهم وذكروهما قبل اى شئ آخر وأعظم

---

(١) سورة نوح : بعض آية : ٢٥ .

(٢) تفسير ابى السعود : ج٥ – ص ١٩٩ .

(٣) الفتوحات الإلهية : بتوضيح تفسير الجلالين : للدقائق الخفية : / سليمان بن عمر العجيلى الشافعى الشهير بالجمل المتوفى سنة ١٢٠٤ – ج٢ – ص ٢٩٠ ط الحلبى .

التخويف هو بالبحث يوم القيامة . وإنما قدم الرسل ذلك لأن معظم القوم مقلدون . والمقلد من عادته لا ينظر فى الدليل ولا يعتبر بالآيات التى جاءت به الرسل .

ولذلك يقول الإمام : الرازى المقلد إذا خوف خاف وما لم يحصل الخوف فى قلبه لا يشتغل بالاستدلال ولهذا السبب قدم الرسل التخويف دائما كما أشارت سورة الشعراء حيث كان الرسل يقدمون ألا تتقون على انى لكم رسول أمين (١)

ولقد حفلت الدعوة الإسلامية بإثبات البعث وبينت أنه أحد أركان العقيدة الإسلامية والإيمان به ركن حتمى فى الإيمان (٢) ولما كانت الرسالات السماوية اتفقت واتحدت فى اثبات وحدانية الله كما أشرنا آنفا وان العبادة تعتمد اعتمادا كليا على غريزة التدين فى نفس الإنسان والتى تبدو فى الإحسان الخفى بوجود سلطان غيبى فوق قوى الكون والأسباب وصاحب هذا السلطان هو خالق السماوات والأرض وما فيهن بيده الخير وهو على كل شئ قدير ومن ثم هو المستحق أن يعبد فى الأرض ولذلك جاءت الرسالات لتؤكد هذه الحقيقة وترسم لها الطريق المستقيم فلا تنحرف كما انحرفت من قبل فاتجهت الى عبادة الأصنام التى لا تنفع ولا تضر والعبادات التى دعا إليها الرسل قسمان .

الأول : محدد مقدر مكيف بنص مقدس لا يقبل التغيير والتبديل .

الثانى : ليس كذلك ويدخل فى دائرة الاخلاقيات المشتملة على كل ما هو حسن وصالح .

---

(١) مفاتيح الغيب : ج ٦ – ص ٥٢٢ للإمام : فخر الدين الرازى

(٢) الدعوة الإسلامية ووسائلها فى عصر النبى (ﷺ) : ص ٦٩ بتصرف أ . د / احمد احمد غلوش .

اما القسم الأول : فيقول الإمام الغزالى رضى الله عنه : (انه محدد مقدر من جهة الأنبياء لا يدرك وجه تاثيرها ببضاعة عقل العقلاء بل يجب فيها تقليد الأنبياء الذين ادركوا تلك الخواص بنور النبوة) (١) وقد أصبح من المتعارف عليه : (أنها شعائر توقيفية تؤخذ باوضاعها واشكالها) (٢) والعبادات المحددة التى هى عادة ما يلمس اثرها كالصلاة والصوم والزكاة والحج . قد اتفقت على الدعوات السماوية السابقة فى وضع اصولها للناس حتى يتحقق الإنقياد العملى ومن ثم نرى ان سيدنا ابراهيم عليه السلام – يدعو ربه أن يمكنه وذريته من أقامة الصلاة فيقول : (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ) (٣) ومن الإنصاف التى استحق بها سيدنا اسماعيل الثناء والمدح من الله عز وجل إقامته للصلاة (وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) (٤) وحينما كلف الله موسى بالرسالة كما سنعرف فيما بعد كان أول ما امر به هو الصلاة حيث قال الله له (**انني انا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى**) (٥) وأمره وأخاه كذلك بها فقال تعالى : (أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين) (٦) والصلاة أول ما نطق به عيسى فى المهد إذ قال : (وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) (٧) إذن نستنتج من هذه الآيات

---

(١) المنقذ من الضلال : ص ١٨٥ – تأليف : حامد محمد محمد الغزالى ت – أ . د / عبد الحليم محمود – ط ٣ الناشر مطبعة محيمر مكتبة الإنجلو ٨ المصرية .

(٢) حقائق الإسلام واباطيل خصومه : عباس محمود العقاد – ص ٩٨ .

(٣) سورة ابراهيم : أية رقم : ٤٠ .

(٤) سورة مريم : أية رقم : ٥٥ .

(٥) سورة يونس : أية رقم : ٨٧ .

(٦) سورة مريم : أية رقم : ٣٠ .

(٧) مفاتيح الغيب : ج٦ – ص ١٨ .

سالفة الذكر أن الرسل بلا استثناء قد كلفوا بإقامة الصلاة وبلغوا هذا التكليف لأقوامهم .

فالصلاة الواردة على ألسنة الرسل شعائر دائمة فى مواعيد ثابتة تحتاج إلى تدبر وتذكر وخشوع كما يدل على ذلك لفظ إقامة الذى اسندت اليه الصلاة وكيفية هذه الصلاة من ناحية الاحاطة بها تحمل رأيين :

الأول : أن يطلع الله كل رسول على كيفية صلاة الأمم السابقة وتفاصيلها وهيئاتها لتبقى معلومة لديه .

الثانى : أن لا يطلع الله الرسل على التفاصيل وإنما يعرفهم بها فى إجمال وهذان الرأيان ذكرهما الإمام الرازى عند تفسيره (١) لقوله تعالى : (واقم الصلاة لذكرى) (٢) وقد ذكر فى تفسير سورة لقمان أن هذه الكيفية للصلاة اختلفت هيئاتها من رسالة الى رسالة . وأن اتحد فى حقيقتها وغرضها (٣) وسواء اكانت كيفية الصلاة معلومة للرسل او غير معلومة فإنه لا يمنع أن يكون هناك اشتراك فى بعض اجزاء هذه الكيفية كالتوجه الى قبلة وان اختلفت فقد ثبت ان اليهود كانت تتوجه الى بيت المقدس كما ثبتت من مشاركة النبى (ﷺ) لهم فى هذا التعرض بعد الهجرة واستمر فى هذه المشاركة سبعة عشر شهرا حتى امر بالتحول الى الكعبة (٤) فى مكة وكالركوع والسجود نجد أن الله عهد الى ابراهيم واسماعيل بطهارة بيته وامرهما بالركوع والسجود فقال لهما : (وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود)(٥) ومريم نوديت : ٠ يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع

---

(١) سورة طه : آية رقم : ١٤ .

(٢) مفاتيح الغيب : ج٦ – ص ٧٣٦ .

(٣) لباب النقول فى أسباب النزول – ج١ – ص ٢٣ ، ٢٤ : جلال الدين عبد الرحمن السيوطى – ط / الحلبى .

(٤) سورة البقرة : بعض آية : ١٢٥ .

(٥) سورة ال عمران : آية رقم : ٤٣ .

الراكعين) (١) وداود عليه السلام : (وخر راكعا وأناب) (٢) ومن أجل تادية الصلاة فى مكان طاهر كالمسجد والبيع والكنائس ، والزكاة ايضا بمناها البسيط الذى هو اعطاء المحتاج جزءا من المال مساعدة له جاءت أصولها فى الرسالات الإلهية السابقة .

وبناء على ما سبق ذكره نجد أن أصول العبادات كانت مشروعة فى جميع الرسالات السابقة ، وذكر وجود هذه الاصول منذ القديم يفيد حقيقة تقبلها ، لأن العبادة تكليف ومشقة والشئ الشاق إذا عم سهل تحمله .

يقول ابو السعود (رحمه الله) ففى ذكر العبادات تاكيد للحكم وترغيب فيه وتطبيب لأنفس المخاطبين وكما سبق من اختلاف كيفية الصلاة فكيفية العبادات على نمطها ومنها الصوم فإن جميع الرسالات جعلته امتناعا عن المفطرات فى وقت معلوم والتشبيه الوارد فى قوله : (كما كتب على الذين من قبلكم) (٣) يفيد المماثلة ففى الاصل الوجوب أو فى الوقت او فى المقدار وقد رجح الفخر الرازى . ان المماثلة فى أصل الوجوب فقط لأن الكيفية تختلف على حسب استعدادات المكلفين وقدراتهم (٤)

وعلى الجملة نقول : إن الكيفيات التى وضعت فيها العبادات سابقا كانت تتضمن الانقياد والخضوع لله تعالى وامتثال المطلق فى النفس والمال وكافة ما يستطيع فعله البشر ، والعبادات الإسلامية تتحد مع أصول العبادات عموما وتقصد أهدافها تماما . وقد جاءتنا مفصلة

---

(١) ارشاد العقل السليم الى مزايا القران الكريم :للإمام محمد بن محمد العمادى - ج٢ - طبع ونشر مكتبة صبيح واولاده

(٢) مفاتيح الغيب - ج٢ - ص ١٧١ .

(٣) ارشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم : للإمام محمد بن محمد العمادى - ج٢ - طبع ونشر مكتبة صبيح وأولاده .

(٤) مفاتيح الغيب - ج٢ - ص ١٧١

الهيئة معروفة بدقة من ناحية الوقت والكيفية والمقدار على لسان نبينا محمد (ﷺ) (١) .

خامسا : الاهتمام بالجانب الأخلاقى :

تحدثت فيما سبق عن اصول العبادات فى الرسالات الإلهية وبينت أنها كانت من أهم الاصول التى دعا اليها حينذاك وأنها كانت تضمن الإنقياد والخضوع لله وحده والإمتثال فى كل ما أمر به الرسل اقوامهم . وأن العبادات الإسلامية التى جاءتنا فيما بعد مفصلة الهيئات معروفة بالدقة من ناحية الوقت والكيفية والمقدار على لسان خاتم النبيين محمد (ﷺ) وأنها اتفقت مع أصول العبادات التى دعا اليها الرسل بصفة عامة وانها كانت تقصد أهدافها المرجوة عاما نتحدث بعد ذلك عن اهتمام الرسل بالجانب الأخلاقى فالاخلاق تعتبر جانبا حيويا وهاما فى كل رسالة إلهية .

ولقد كان منهج الرسالات الإلهية فى الدعوة الى الأخلاق يتمثل فى اتجاهات اربعة :

الاتجاه الأول : الدعوة الى التوحيد مقرونة بالدعوة الى الاخلاق

الاتجاه الثانى : الدعوة إلى الأخلاق مقرونة بأعمال الرسل وأقوالهم .

الاتجاه الثالث : الدعوة الى محاربة الرذائل المتفشية حينذاك

الاتجاه الرابع : بيان النتائج الحسنة لذوى الأخلاق الفاضلة (٢) وسنتحدث إن شاء الله عن هذه الإتجاهات بإيجاز بقدر المستطاع .

---

(١) الدعوة الإسلامية : اصولها ووسائلها : ص ١٥٥ بتلخيص وتصرف .

(٢) أصول الدعوة : ص ٥٠ بتصرف .

الإتجاه الأول :

الدعوة إلى التوحيد مقرونة بالدعوة إلى الأخلاق :

ونحن ندلل على هذا الإتجاه بنبى الله نوح عليه السلام فنقول إنه بعث فى قوم ضلت عقائدهم وفسدت أخلاقهم وأخذوا فى تلقين ناشئتهم هذه المبادئ الضالة فى العقيدة والأخلاق وضحها سيدنا نوح عليه السلام فى قوله لربه وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (١) . ويقول الله تعالى : (وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا) (٢) من هذه الآيات نستنتج ان قوم نوح عليه السلام كانوا أئمة وقادة فى الضلال والكفر ومن ثم نادى نوح عليه السلام ربه ان لا يدع احدا منهم قط لانه إن تركهم اضلوا عباده وان ولدوا طبعوا أولادهم على الشرك والمعصية ، ولا شك فى ذلك فقد تجرؤا على ارتكاب المعاصى والفوها يقول ابو السعود : انهم اصروا على المعاصى والكفر واستكبروا استكبارا عن الاتباع والطاعة ولوضعهم هذا طلب الرسول منهم أن يعبدوا الله ويتركوا المعاصى وقال لهم (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى (٣) وكذلك كانت سيرة كل نبى فى قومه على نفس المنهج .

---

(١) سورة نوح : آية رقم : ٧ .
(٢) سورة نوح : آية رقم : ٢٢-٢٤ .
(٣) سورة نوح : آية رقم : ٣ - ٤ .

الإتجاه الثانى :

المنهج العملى التطبيقى لأعمال الرسل واقوالهم :

كان الرسل عليهم السلام فى دعوتهم الى مكارم الأخلاق يظهرون صورة عملية تطبيقية يطبقون كل ما يدعون إليه قولا وعملا ومن ثم امتازوا بالأخلاق الكريمة التى قصها علينا القران الكريم ، من هذه المميزات صفة الامانة (١) وهى من أمهات الفضائل ولم يكتف واحدة منها بتصحيح مسار العقائد والشرائع فحسب بل وصل اهتمامها بالأخلاق لتكون حائلا بين النفس وشهواتها ، والقلب وهواه وترسم للإنسانية طريقا محفوفا بالفضائل والصلاح ولعل اهتمام الرسل بهذه الدعوة سببه ان الإيمان بالله قرين الأخلاق وكلاهما يستلزم الخضوع والطاعة المطلقة لله تعالى . وتجنب الظلم وانصاف النفس من كل ما يشينها ويرديها وكلاهما يتطلب من صاحبه أن يتحلى بالآخر ، ولا يكمل الآخر إلا مع الاول . ولذلك لم يرسل الله رسولا إلا إلى قوم فسدت أخلاقهم وضلت عقائدهم وعاثوا فى الأرض فسادا واستكبارا .

ففى هذا الوقت تعمل الرسالات على إصلاح هذا المسار مع الدعوة إلى الإيمان بالله (٢) اتصف بها جميع الرسل قبل بعثتهم وظهرت

---

(١) الأمانة : وهى حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهى عنه ولو نهى كراهة (أو خلاف الأولى فهم محفوظون ظاهرا من الزنا وشرب الخمر والكذب وغير ذلك من منهيات الظاهرة ومحفوظون باطنا من الحسد والكبر والرياء وغير ذلك من منهيات الباطل والمراد بالمنهى عنه ولو صورة فيشمل ما قبل النبوة ولو فى حال الصغر . ولا يقع منهم مكروه ولا خلاف الأولى ، بل ولا مباح على وجه كونه مكروها أو خلاف الأولى أو مباح وإذا وقعت صورة ذلك فهو للتشريع فيصير واجبا أو مندوبا فى حقهم وافعالهم صلوات الله عليهم دائرة بين الواجب والمندوب أ هـ - شرح البيجورى على الجوهرة - ص ١٣٨

(٢) أصول الدعوة: ص ٥٠ بتصرف وانظر كذلك الى الدعوة الاسلامية ووسائلها فى عصر النبى (ﷺ) - ص ٨٠ .

معهم كلازمة من لوازم حياتهم واشتهروا بها بين اقوامهم ولذلك راينا الرسل حينما يقابلهم الناس بالتكذيب تارة والأيذاء تارة أخرى . يذكرون لهم ما عرفوا به لديهم من امانة واضحة قبل الرسالة وهى معهم اينما كانوا بعد الرسالة بالضرورة ولذلك نجد أن كل رسول قال لقومه : انى لكم رسول امين " (١) يقول ابو حيان ، هذه الآية علة معلولها ما تقدمها من عرض الرسول بتقوى الله عليهم وعلة هذا معلولها تقتضى ان يكون معروفة ومعهودة لدرجة تدفع الى الإذعان بالمعلوم فالرسول مشهور بين قومه بالأمانة (٢) وكأنه يقول لهم بهذه الامانة كنت امينا من قبل فكيف تتهمون اليوم (٣) لأن الكفار لا يستطيعون انكار ما اشتهر به رسولهم ومن ثم حاولوا ازالة الصفات المعروفة عن الرسل بدعوى حدوث امور عارضة منعت استمرار هذه الصفات المسلم بها من قبل كدعوى الاصابة بالجنون او بالمس بالشياطين من امثال قول قوم نوح عليه السلام عنه (إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ) (٤) فذكروا أنه أصيب بالجنون وايضا قال قوم هود (إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) (٥) واكتفى قوم صالح (بتذكيره بأنه قبل البعثة محل رجائهم وأملهم قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا) (٦) وكذلك نجد أن الامانة اول صفة ظهرت فى اعمال الرسل قولا وعملا لشمولها واهميتها ولذلك حاول المعاندون الرسالة ردها وعقدوا من اجل ابطالها المؤتمرات والاجتماعات كما فعل القريشيون مع محمد (ﷺ) الذى كان مشهورا بينهم بالامانة فإنهم اجتمعوا من اجل وضع صفة له يشيعونه بين الناس ليصدوهم عن قبول دعوته اجتمعوا ولم يسفر الاجتماع عن شئ ضد

(١) سورة الشعراء : الآيات : ١٠٧ – ١٦٢ .
(٢) البحر المحيط : ج٨ – ص ٢١ .
(٣) تفسير ابن السعود – ج٤ – ص ١١٣ .
(٤) سورة المؤمنون : آية رقم : ٢٥ .
(٥) سورة هود : بعض آية : ٥٤
(٦) سورة هود : بعض آية : ٦٢ .

الدعوة سوى اتهامه بالسحر . وقالوا عن هذا القرآن " إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ " (١) ورغم كل هذه الدعاوى المفتراه والسفاهة الواضحة من المعاندين لسائر الرسل لم نجد الا لينافى القول وتساميا من الرسل فلم يردوا عليهم بقول غليظ او عمل شديد بل كان ردهم هو نفى التهمة المستحدثة وبيان انهم رسل الله .

الإتجاه الثالث :

الدعوة إلى محاربة الرذائل المتفشية حينذاك :

كان الهدف الأسمى من ارسال الرسل عليهم السلام هو اصلاح الفساد عقائديا وأخلاقيا بل وفى جميع صوره إلا انهم كانوا يركزون على الفساد المتفشى فى البيئات المحيطه بهم وكان اخطر فساد تفشى فيهم وأخذ صيغة مشابهة هو خضوع الإنسان وتذلله امام إله لا ينفع ولا يضر ورغم أن نظرة القوم الى الاصنام مرتبطة بعقائدهم الا أن اتصالها بالاخلاق هام وخطير ذلك لأنهم لم يقدموا فضيلة من الفضائل ولم يأمروا بتصحيح خطأ ارتكب فبرزت سيئاتهم فى أخلاقهم بوضوح ولذلك جاهد الرسل لنبذ هذه النظرة العقائدية أولا والمتجهة الى فساد الأخلاق .

ثانيا : ونحن ندلل على هذا ببعض الأخطاء الهامة التى ركز عليها وابرزها القرآن الكريم فى كثير من اياته على سبيل المثال لا الحصر ماكان من قوم شعيب حيث كانوا يطففون المكيال والميزان ، فإذا اكتالوا على الناس يستوفون وإن أعطوا يخسرون . فارسل الله شعيبا لمقاومة هذا الفساد وإصلاح هذا الخطأ وقال لهم " وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ

(١) سورة المدثر : بعض اية : ٢٤ .

بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ "(١) ونجد أن هذا النداء فى قوله تعالى (يا قوم) تكرر فى قصص القرآن من سيدنا شعيب عليه السلام ومن الأخطاء ايضا التى ركز عليها الرسل ماحدث من قوم " لوط " من ارتكابهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن حيث انهم كانوا يأتون الذكر ان من العالمين ويتركون الفساد وقد تفشى فيهم هذا النداء لدرجة انهم كانوا يأتونه على مر أى من الناس من غير استحياء مع انهم لم يسبقوا فقال لوط لهم : (أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) (٢) وقد تكررت تفاصيل الفاحشة التى كانت منتشرة فى قوم لوط فى كل المواضع التى ذكرها القرآن الكريم فيها قصتهم من هذا العرض الموجز يتضح لنا أن الرسل عليهم السلام اهتموا بتصحيح الاخطاء الرئيسة التىكانت موجودة فى البيئات المحيطة بهم ولم يهملوا فى اى جانب من جوانب الاصلاح فى بيئاتهم فكانوا يشجعون الصالح ويحاولون منع سائر المفاسد بالمجتمع والناس الى ان بعث الله محمد (ﷺ) خاتما لرسله وقد اكتملت الانسانية عقليا فوضع المناهج الاخلاقية الشاملة لكل نواحى الحياة لا فى البيئة العربية فحسب وانما لسائر البيئات فى العالم كله شرقة وغربه .

الإتجاه الرابع :

بيان النتائج الحسنة لذوى الأخلاق الفاضلة :

رأينا فيما سبق أن الرسل عليهم السلام دعوا الناس بدعوة الحق فامن قوم بينما كفر اخرون ،وكان من أهم ما نادوا به هو الاخلاق ، والقرآن الكريم بين مصائر المؤمنين ، وعاقبة الكافرين ليتضح الطريق

(١) سورة هود : آية رقم : ٨٥ .

(٢) سورة الاعراف : آية رقم : ٨١ .

لمن لا يزال فيه وينجوا من اراد لنفسه النجاة وكان من سنة الله فى خلقه من الامم السابقة ان عجل لهم العذاب فى الدنيا ولم يمهلهم لليوم الآخر(١)

فنجد أن قوم نوح (لما كذبوا بدعوته ولم يستجيبوا له ، دعا نوح ربه أنه ينتقم من قومه فاستجاب الله دعاءه فارسل من السماء مطرا غزيرًا لم تعهده الأرض من قبل وأمر الأرض بأن تتفجر منها المياه من سائر ارجائها فاجتمع ماء السماء وماء الأرض ليحدث من جراء ذلك الطوفان العظيم الذى قدره الله لهلاك الكافرين بدعوة نبيه مهيئا سبيل النجاة لنوح) ومن آمن معه على السفينة التى سارت برعاية الله وحفظه (٢) وهذا ما ذكره الله سبحانه (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ) (٣) هذه عاقبة الذين كذبوا بدعوة نوح عليه السلام فانجاه الله واغرق الذين كفروا قال تعالى مشيرا إلى ذلك (فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ) (٤) وأما قوم (هود) فكذبوه فى دعوته الى الله تعالى : (فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) (٥) وقوم صالح كذلك فقد اهلكهم الله بتكذيبهم لدعوة نبيهم . قال تعالى :(

---

(١) المصدر السابق : ص ٧٣ بتصرف

(٢) مع الانبياء فى القرآن الكريم : ت – عفيفى طباره – ص ٧٠ بتصرف – ط١١ – ١٩٨٢ دار العلم للملايين .

(٣) سورة القمر : آية رقم : ١٢-١٤ .

(٤) سورة الأعراف : آية رقم : ٦٤ .

(٥) سورة الشعراء : آية رقم : ١٣٩ .

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) (١) وقوم لوط كذلك فقد حل بهم ما يستحقون (إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (٢) وأما فرعون وجنوده فإنهم لما طغوا (فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ) (٣) من هذا العرض السابق يتبين لنا أن الله سبحانه وتعالى اهلك الامم الفاسدة وأراهم جزاء ضلالهم وكفرهم وذكر مصيرهم فى القرآن الكريم وهذه سنته سبحانه فى الأمم السابقة ليعتبر ويتدبر من نزل القرآن عليهم من الامة الخاتمة، ومن اجل اتمام الفائدة امهل الله الامة الخاتمة وارجأ عقوبتها فى الدار الاخرة هذا وان وقعت بعض العقوبة فى الدنيا على افراد من هذه الامة فهى عقوبة فردية فقط ، وفى الاخرة توفى كل نفس مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا مَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ (٤)

قال تعالى : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ) (٥)

ويقول ايضا : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (٦) . وسوف يعلم الجميع ان (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ

(١) سورة الحاقة : اية رقم : ٥ .
(٢) سورة العنكبوت : اية رقم : ٣٤ .
(٣) سورة طه : بعض اية : ٧٨ .
(٤) سورة آل عمران: اية ٣٠ .
(٥) سورة آل عمران: اية : ٧٨
(٦) سورة الزلزلة : اية رقم : ٧-٨ .

رَهِينٌ) (١) و (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) (٢) وهكذا نجد أن عاقبة الاخلاق الحسنة تؤدى الى العظة والاعتبار والازدجار لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .

وهكذا رأينا ان الرسل دعوا الى الاخلاق باللين والرفق كما انهم حاربوا الرذائل بالموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى احسن

وهكذا أيضا نرى أن الدعوات كلها تلتقى فى دائرة واحدة وهى دائرة مكارم الأخلاق .

---

(١) سورة الطور : بعض آية : ٢١

(٢) سورة المدثر : آية رقم : ٣٨ .

النتيجة :

نستنتج مما سبق عرضه بإيجاز ما يلى :

أولا : اصول الرسالات الإلهية واحدة وهى :

١ – توحيد الله عز وجل

٢ – ضرورة الرسالة واثباتها

٣ – اثبات البعث

٤ – اثبات اصول العبادة

الاهتمام بمكارم الأخلاق

ثانيا : أصول العبادات واحدة وهى (الصلاة ، الصيام ، الزكاة ، الحج) وإن اختلفت هيئاتها وكيفيتها من رسالة الى رسالة .

ثالثا : اصول الأخلاق وهى (الصدق ، الأمانة ، العفة ، الصبر)

منهج الرسلات الإلهية فى الدعوة إلى الأخلاق يتمثل فى :

الدعو الى التوحيد مقرونه بالدعوة إلى الاخلاق

الدعوة الى الاخلاق بأعمال الرسل واقوالهم

الدعوة إلى محاولة الرذائل المتفشية حينذاك

رابعا : منهاج التدليل على الوحدانية يكاد يكونوا واحدا

سلك الرسل – عليهم الصلاة والسلام – فى التدليل على مفهوم توحيد الله تعالى وعبادته منهجا يتمثل فى

تذكير القوم بنعم الله عليهم فى انفسهم

تذكير القوم بالنعم المبثوثة فى الكونيات من حولهم

التخويف من العواقب التىستلقى على من لم يوحد الله تعالى ويعبده

خامسا : منهاج التدليل على الرسالة يكاد يكون واحدا

لقد اعتمد الرسل – عليهم الصلاة والسلام – فى التدليل على الرسالة على :

بيان وتوضيح مشابهة رسالتهم للرسالات السابقة

تذكيرهم ان الرسالة اختيار من الله ومنحة يختص بها من يشاء من عباده

سادسا : منهاج التدليل على البعث يكاد يكون واحدا ويتمثل فى :

تخويفهم من الإهمال نحو التكاليف المنوطة بهم

تحذيرهم من العصيان ولذلك نرى أن الرسل قدموا التخويف والتحذير فى دعوتهم وذكروهما قبل اى شئ اخر واعظم التخويف هو بالبعث يوم القيامة وانما قدم الرسل ذلك لان معظم القوم مقلدون والمقلد من عادته لا ينظر فى الدليل ولا يعتبر بالايات التى جاءت بها الرسل .

سابعا : أسباب اختلاف المنهج بين الرسل .

التدرج طبقا لحاجة البشرية

اختلاف البشر فى مداركهم العقلية والفكرية

اسلوب التربية والتعليم والتوجيه

إن الدين الخاتم نتاج تجارب الاجيال والخطة النهائية لبناء الانسان الكامل ،لأن الإنسان الكامل هو الحقيقة ذات الوجه الواحد فى كل عصر ومصر كانت قواعد بنائه قواعد اساسية يتضمنها دين الكمال بعد اكتمال عقل الإنسان وخبراته فالتشريع الإلهى قام على أسلوب علمى لا ينكر هو أسلوب التربية والتعليم والتوجيه بالنظرية تارة وبالتجربة تارة أخرى اما النظرية فكانت برسالة الرسل والانبياء ووعظهم وتبليغهم وحى الاله الخالق بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى احسن .

واما التجربة فكانت باحتكاك الرسالة بالعقول والبيئات والظروف الخاصة وتفاعل هذا الاحتكاك بالعقول والبيئات والظروف وما ينتج من العائد الإجتماعى والثقافى والنفسى والتاريخى المادى والمعنوى فتنقل هذه للتجربة ونالجها الى امة اخرى ومعها رسالة اخرى تحتك بمجتمع جديد يفترض انه استفاد من تجربة امة سبقتها وتجربة عملية التربية والتعليم بهذا الاسلوب العلمى جيلا بعد جيل حتى يجئ الجيل الذى تتحصل له كل التجارب ويمكنه ان يستفيد منها ونتائجها الى الجيل الذى يليه دون حاجة الى رسالة جديدة فكانت الرسالة الخاتمة ومن ثم نلاحظ الامور العلمية التالية :

أ – الرسالات التى سبقت الرسالة الخاتمة كانت خاصة لان التفاعل الناتج عن الاحتكاك قد يؤدى الى عملية تدمير وابادة او شبههما فاكتفى العالم الاكبر رحمة منه بعباده بعينات من الامم السابقة تكفى التجربة معها بالحصول على القانون العلمى المطلوب ليكون صالحا لتعليم وتربية

من يلى هذه العينة أو تلك أو يعاصرها كاكتفاء العقلاء بالنظر الى من صعقه التيار الكهربائى للتعليم والعلم بخطر التيار عند المماس به والبعد عن ممارسة نفس العمل الذى ادى الى هلاك من وقع تحت التجربة

ب – كان كل رسول يكلف بالتبليغ يذكر قومه بالتجارب السابقة مع النظرية الرسالة التى جاء بها حتى حل محمد صلى الله عليه وسلم تجارب الانبياء والرسل اجمعين .

ج – رافقت الرسالة الخاتمة تجارب رصدها القرآن الكريم عبرة للاجيال كلها بالاضافة الى تجارب السابقين

د – نجد ان الرسالات السابقة لرسالة الاسلام اعتمدت على المعجزات المادية الحسية لانها الطريق الوحيد لاثبات انها وحى الهى حيث لم يبلغ العقل الانسانى مرحلة النضج والفكر ومرتبة الكمال وشان العقل الذى لم يبلغ هذه المراحل الا يقتنع بغير ما يعجزه ولهذا كانت المعجزات من جنس ما يبرع الانسان فيه

هـ – القواعد العلمية المترتبة على التجارب الاجتماعية للتاريخ الانسانى تدل دلالة قاطعة على ان مقرر تلك القواعد العلمية محيط بتاريخ البشرية منذ وجوده عالم باسرار النفس ونظم الاجتماع قادر على تحديد مستقبل الانسانية من خلال عمل كل شعب وكل امة وكل دولة .

وختاما :

بعد ان اتم الله علينا نعمته وأحاطنا بفضله وكرمه وشملنا برعايته وتوفيقه باتمام هذا البحث – بعد أن وفقنا الله تعالى على اختياره

فنعترف بالفضل لله وحده بانه وهبنا الوجهة السليمة النافعة الشاملة .

فشكرًا لله تعالى على هذه المنة وهذا الكرم وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى اله وصحبه اجمعين واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

د / عرفه سالم حسن سيف الدين

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

ثبت بأهم المراجع

أولا : القرآن الكريم والسنة النبوية .

ثانيا : المراجع .

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن : الإمام أبى السعود محمد بن محمد العمادى المولود ٨٩٦ هـ ت / ٩٥١ طبع ونشر مكتبة صبيح واولاده بدون تاريخ .

٢- أصول الدعوة : الدكتور / أحمد أحمد غلوش ١٣٩٣هـ - ١٩٧٩ م مطبعة دار البيان .

٣- البحر المحيط : محمد بن يوسف بن حبان الاندلسى - طبعة الأولى - القاهرة - مطبعة السعادة .

٤- تفسير القاسمى : علامة الشام محمد جمال الدين القاسمى ١٢٨٣ - ١٣٣٢هـ - ١٨٦٦-١٩١٤م - تعليق محمد فؤاد عبد الباقى - طبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه .

٥- تفسير القرآن العظيم : الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى ٤٧٤هـ - ٥١٤هـ - ١٩٨٠م - مكتبة التراث الإسلامى .

٦- تفسير المنار : السيد محمد رشيد رضا الجزء السادس ط/١٩٧٣م - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٧- تفسير القرطبى الجامع لأحكام المنار : الإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى القرطبى ت/٦٧١هـ ط/١-١٩٩٠م - ١٤١٠هـ - دار الغد العربى .

٨- تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب : الإمام محمد الرازى فخر الدين بن ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرى ٥٤٤هـ - ٦٠٤ ط/٣ ١٤٠٥/١٩٨٥م .

٩- دعوة الرسل إلى الله تعالى : غايتها وتاريخها : الدكتور / محمد الشتيوى ط/١-١٤٠٦هـ -١٩٨٦ .

١٠- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها : الدكتور / احمد احمد غلوش دار الكتاب المصرى القاهرة .

١١- الدعوة الإسلامية ووسائلها فى عصر النبى - صلى الله عليه وسلم - : الدكتور / احمد احمد غلوش ط/١ ١٩٧١م دار الجيل للطباعة ١٤- قصر الؤلؤ - الفجالة .

١٢- سورة القصص ومنهجها فى إثبات الرسالة : الدكتور / أمين محمد عطية محمد الباشا ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

١٣- شرح البيجورى على الجوهره المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد : الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام إبراهيم البيجورى ط/١ ١٤١٤هـ - ١٩٦٤-١٩٩٥م .

١٤- صحيح الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى أبو الحسينى حافظ بشرح النووى : الإمام مسلم يحى بن شرف بن مرى حسن بن حسين بن حزام النووى الشافعى أبو زكريا محى الدين - تحقيق وإشراف : عبد الله أحمد أبو زيته .

١٥- غرائب القرآن وغرائب الفرقان : نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمى النيسابورى المتوفى سنة ٧٢٨هـ تحقيق ومراجعة / إبراهيم عطوة ط/١ ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م .

١٦- فى ظلال القرآن : سيد قطب - ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م - دار الشرق .

١٧- الفتوحات الإلهيه بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق : سليمان بن عمر العجلى الشافعى الشهير بالجمل المتوفى ١٢٠٤ – مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر .

١٨- القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادى ت ٨١٧هـ - ط٢ ١٣٧١هـ-١٩٥٢م .

١٩- لباب النقول فى أسباب النزول : جلال الدين عبد الرحمن السيوطى القاهرة – طبع ونشر مكتبة الحلبى .

٢٠- مع الانبياء فى القرآن الكريم : عفيفى عبد الفتاح طبارة ط١١ كانون الثانى ١٩٨٢م – دار الملايين .

٢١- مع الإنسان فى القرآن الكريم : عفيفى عبد الفتاح طبارة ط١١ كانون ١٩٨٢م – دار الملايين .

٢٢- منهج القرآن والسنة فى الدعوة إلى الله : الدكتور / محمود يوسف يوسف كريت ط١ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .